

حسان صديق الفاضل*

خلاصة:

أخي الكريم: وبعد أن عرضنا جوانب من مخاطبة ضروب الحيوانات للنبي صلى الله عليه وسلم بكلمات لا ترصدها الأذان البشرية. وعلمنا دوافعها ومقصدها من وراء تلك الحوارات ألا وهو الشوق والحنين للرسول صلى الله عليه وسلم وسعادتها بلامسة يديه الشريفتين لها. كما أنها كانت تسعى جادة إلى الفوز مقابل هداية الآخرين للإيمان. وبما يصلح به دنياهم وآخرهم. والأهم من ذلك أن هذه الحيوانات تريد أن تعبر عن الغاية التي تخفي علينا. وهي مغروسة في أحشائها. تسري في ذراتها. وتجري في دماؤها. إنها النشيد الرباني بالتسبيح والذكر له تعالى الذي يسبحه كل شيء ولكن لا نفقه إلا لغتنا نحن البشر. ومرد ذلك يرجع إلى لغتنا الضيقة. ومدى سعة علم الله وقدرته في خلقه.

* كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

Introduction:

Welcome dear reader to the following side of the life of our prophet (Allah blesses him). Allah has provided him with dazzling miracles and apparent evidences. Hereby, we are going to review some of prophet Mohammed's miracles concerning the conversation of Animal to him, its acknowledgement, agreement and obedience to his mission.

Animals are known that they are non-articulators, which address and speak with an audible tongue. Many questions could come across; Are these animals obliged just as humans are? On the other hand, have they more delicate and thinner hearts than the humans? Have Allah installed in them the speaking devices when wanting to speak to prophet Mohammed, or what was intention behind these dialogues with prophet Mohammed (Allah blesses him)?

At last, we conclude by the most important lessons extracted from the of example lessons and preachments of these situations.

Summary:

Dear brother, after reviewing the types of animals conversation with prophet Mohammed (Allah blesses him) with words non-hearable by human ears, we knew that the motives and intentions of the dialogues with the prophet, were their longings to the noble touch of the prophet's hands. Animals also seriously seek to win the guidance of others to render faith for ever reformation in the word and day of resurrection. The most important thing is that these animals want to express the purposes that are concealed from us and which are fixed in its intestines and

moves with their blood. That is the Heaven's anthem to praising and naming Allah, to whom every creature praises and names, but we do not understand that, because of our narrow language and the far extent of Allah's power on his creatures.

هذا جانب من حياة النبي صلى الله عليه وسلم) الذي أكرمه ربه تعالى بالمعجزات الباهرة، والدلائل الظاهرة. حيث نقلت هنا أطرافاً من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بتكليم البهائم له، وشهادتها برسالاته، وإجابتها دعوته، وطاعته له صلى الله عليه وسلم.

وهي حيوانات غير ناطقات تخاطب وتحدث بلسان مسموع. ومن هنا تتبادر جملة من الأسئلة: أهى مكلفة كما الإنسان؟ أم هى أشد رقة وألين من البشر قلوباً؟ هل ركب الله لها أجهزة النطق. ساعتها؟ وماذا كان قصدها من وراء تلك الحوارات الكلامية مع الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ونخلص أخيراً إلى أهم الدروس المستفادة والعبر والعظات من تلك المواقف.

العبر والعظات في مخاطبة صُروب الحيوانات (للنبي صلى الله عليه وسلم):

- ومن تلك الحيوانات: (الضب، الذئب، الجمل، الظبية، الأتان):
كم هو معجز وعظيم نبي تتعلق الوحوش النافرات بأذياله. ويأتي البعير مشتكياً له، ونحن البكار إليه.
- حيوانات غير ناطقات تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم. وتحدث إليه بلسان مبين يسمعه الجميع! لكنها كلمات لا ترصدها الأذان ولا تخويها لغتنا الضيقة هذه!
- هل هى مكلفة كما الإنسان؟
- أم كانت أرق قلوباً وألين أفئدة منا؟
- وماذا كانت تريد من مضمون الخطاب؟
- هل أن الله بث فيها مكنون اللغات؟ أم أنّ ذلك من إنشاء ما قد فطرت عليه من تراتيل مناجاته تعالى وتسابيح حمده القائل: (وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) سورة الإسراء: 17.
- أم أنها تنشد الفوز بسعادة هداية الغير ونيل خيرى الدنيا والآخرة!

لا يخفى علينا - أخي القارئ - ما للسيرة من أهمية في حياتنا. إذ أنها تحكي الحياة النبوية الشريفة بدقائقها وتفصيلها العطرة. حيث تميّزت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة المعجزات الباهرة. كما خصّ بين سائر الأنبياء والرسل بسليل الخصائص فضلاً من الله تعالى ومنحه.

ويأتي حديث الحيوانات للنبي صلى الله عليه وسلم من باب المعجزات النبوية، والمعجزة في تعريفها الاصطلاحي: هى أمر خارق للعادة على يد مدعي النبوة، والكرامة هى الأمور الخارقة للعادة لغير مقرون بدعوى النبوة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم المتابعة لنبي كلف بشريعة مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح^(١). وفي تعريف آخر المعجزات هى:

(الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من كذبه إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل).⁽²⁾

وقد آيد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة. وفي كلام بعضهم: (أنه صلى الله عليه وسلم أعطي ثلاث آلاف معجزة: أي غير القرآن فإن فيه ستين أو سبعين ألف معجزة)⁽¹⁾ ومنها الإسراء والمعراج وانشقاق القمر ومعجزات الهجرة: العنكبوت، وسراقة في الطريق، وشاة أم معبد، ومعجزات الغزوات في بدر، والأحزاب وحنين.

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم التي خصه الله تعالى بها دون سائر الأنبياء والرسل تحريم نكاح زوجاته اللاتي دخل بهن ومات وهن في عصمته. قال تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً). سورة الأحزاب: 53.

كما أن الله تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم، تكريماً لقدر حياة نبيه وتعظيماً فقال: (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون). سورة الحجر: 72. ومنها أن الله تعالى أقامه مقام ذاته فقال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم). سورة الفتح: 10.

ووضع به الأغلال تلك التي كانت في أعناق العباد قال تعالى: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) سورة الأعراف: 157. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر بتقديمه على النفوس والآباء والأبناء والعشائر قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم). سورة الأحزاب: 6. وفي الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»⁽²⁾. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه صاحب الكوثر: (إننا أعطيناك الكوثر...) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «بينما أنا أسير في الجنة، إذا نبهر ما حافته قباب الدر المجوف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر»⁽³⁾. كما خصه تعالى بالشفاعة العظمى يوم القيامة، فلا يُشفع في أحد يومئذ إلا شفع فيه، وهو المقام المحمود الذي وعد ربه فقال: (عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً). سورة الإسراء: 79. وجاء في الحديث في الصحيحين: «... يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد... يا محمد أرفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعطى...»⁽⁴⁾.

وهذه المعجزات وتلك الخصائص جاءت لتكون برهاناً صادقاً للنبي صلى

الله عليه وسلم فيما يدعو إليه، وآيات بينات تثبت صلته بربه، ومدى إمداد الله تعالى له بالتأييد في كل زمان ومكان. ومن تلك المعجزات مخاطبة الحيوانات للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث أنها كانت تحدثه ويسمع الحاضرون حديثها في محفل من الصحابة رضوان الله عليهم. ولعل السرف في محادثة تلك الحيوانات نابع من حبها الزائد وشوقها المتدفق إلى أفضل الذوات المخلوقة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا غرابة في الأمر حيث خاطبه الجذع والحجر من الجمادات، وهذه حيوانات ذات دم وروح!! فإن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أمر قد غرسه الله تعالى من قبل في مكونات تلك المخلوقات، وظل يسري في ذراتها، ويجري في دمائها، لتهمس لنا في أحاديثها تلك بذاك النشيد الرباني: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده...).

حديث الضَّب: (2)

روي عن عمر⁽³⁾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل⁽⁴⁾ من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضباً، فقال: ما هذا؟ قالوا نبي الله، فقال: واللوات والعزى، لا أمنت بك أو يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا ضب، فأجابه بلسان يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك⁽⁵⁾، يا زين من وافي القيامة. قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟ قال: رسول الله رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

شهادة الذئب: (1) وقصة كلام الذئب المشهورة⁽²⁾، عن أبي سعيد الخدري: بينما راع يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها، فأخذها الراعي منه، فأقعى⁽³⁾ الذئب، وقال للراعي: ألا تتقي الله! حَلَّت بيني وبين رزقي! قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين⁽⁴⁾ يحدث الناس بأنباء ما قد سبق. فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قم فحدثهم، ثم قال صدق.

وكان صاحب هذه القصة والحديث بها ومكلم الذئب يدعي أهبان بن أوس⁽⁵⁾، أسلم وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عُدْ إلى غنمك تجدها بوفرها، فوجدها كذلك حيث كان الذئب في حراستها، وذبح للذئب شاة منها.

شكوى الجمل:

ذكر صاحب السيرة الحلبية⁽⁶⁾ في معرض حديثه عن غزوة ذات الرقاع: كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل بغير حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أيها البعير أسكن فإن تك صادقاً فلك صدقك، وإن تك كاذباً فعليك كذبك، وإن الله تعالى قد أمّن عائدنا ولن يخيب لأئذنا، فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: يريد أهله نحره وأكل لحمه، فهرب منهم واستغاث بنبئكم، فبينما هم كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون، فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نجد إلا بين يديك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه يشكو، فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: يقول أنه ربي فيكم سنين كنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلاء، فإذا كان الشتاء حملتهم عليه إلى موضع الدفاء، فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله إبلاً سليمة، فلما أدركته هذه السنة الجذبة هممتهم بنحره وأكل لحمه، فقالوا: والله يا رسول الله قد كان ذلك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه، وقد استغاث بكم فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، لأن الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين، وأسكنها في قلوب المؤمنين، فاشتره صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال: أيها البعير أنطلق حيث شئت، فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: آمين، ثم رغا الثانية، فقال له آمين، ثم رغا الثالثة، فقال له آمين، ثم رغا الرابعة، فبكي النبي صلى الله عليه وسلم.

فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ فقال: قال: جزاك الله خيراً أيها النبي عن الإسلام والقرآن فقلت: آمين، قال سَكَنَ الله رعب أمتك كما سكنت قلبي، قلت: آمين، قال: حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمي، فقلت: آمين، قال: لا جعل الله بأسهم بينهم شديداً، فبكيت لأنني سألت ربي فيها: أي في هذه الرابعة فمنعني إعطاءها.

شهادة الظبية:⁽¹⁾

عن أم سلمة⁽²⁾ كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء، فنادته ظبية: يا رسول الله، قال: ما حاجتك؟ قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشقان⁽³⁾.

في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: وتفعلين؟ قالت: نعم. فأطلقها. فذهبت ورجعت، فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله، ألك حاجة. قال: تطلق هذه الظبية. فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. أتان بنت أبي ذؤيب: ⁽¹⁾

جاء في السيرة الحلبية ⁽²⁾ ما جرى للسيدة حليلة حين أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرضاعه... فلما وضعته على حجري وركبت أتانني، وحملته صلى الله عليه وسلم عليها فو الله لقطعت الركب: أي صيرته خلفها ما يقدر عليها: أي على مرافقتها ومصاحبته شيء من حمهرن، حتى أن صواحيبي يقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ويحك أربعي ⁽³⁾، أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها تخفضك طوراً وترفعك أخرى؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأناً! أي وقالت حليلة فكنت أسمع أتانني تنطق وتقول: والله إن لي لشأناً ثم شأناً. شأني بعثني الله بعد موتي، وردّ لي سمّني بعد هزالي، ويحكم يا نساء بني سعد إنكن لفي غفلة، وهل تدرين من علي ظهري؟ علي ظهري خير النبيين، وسيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين. وحبيب رب العالمين.

الدروس المستفادة والعبر والعظات:

1. نكتسب من حديث الضب حسن الأدب في محادثة النبي صلى الله عليه وسلم، لنرى كيف ردّ هذا الضب النداء بأعظم عبارة وأجمل خية... لبك وسعديك، والتي تحمل بين طياتها أسمى معاني الطاعة بعد الطاعة، وأبلغ آيات الانقياد والإجابة. تلك العبارة التي يرددها وفود الرحمن في أداء مناسكهم، وتعلو بترديدها أصواتهم، فما أحسن تلك الكلمة تقال في أحسن الأماكن وأجمل المواسم، فإن كانت هذه العبارة عظيمة في مدلولها، فلأن المخاطب بها أعظم عند ربه وأقرب، ومحبيب لدى الناس والمخلوقات بأجمعها، حيث عظمه ربه وبجله، وعلّقه عليه قدماً وما زال، ثم أثني عليه بمحاسن المدح وعظيم الخلق، وأمر الله تعالى التزام الأدب بحضرة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى أشد النهي عن رفع الأصوات بين يديه، وأنزل جملة من الآداب في التعامل معه.
2. الإيمان بالقيامة وعلاماتها إيمان بالغيب بكل ما فيه، وأن الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو زين من وافي القيامة. فالوحي

والجنة والنار كل ذلك مما يجب الإيمان به يقيناً لا يراوده أدنى شك. لأن الإيمان إنما هو سلاحنا لمواجهة أزمت العصر الفكرية ومشكلاته المعرفية. إن الله أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب. لإصلاح حال الإنسانية. وهداية البشرية. غير أن دعاة المعرفة الغربية اليوم أنكروا الوحي. وجحدوا الإله. وألّهُوا الطبيعة والإنسان. وقالوا بموت الإله (المسيح). أي لم يعترفوا بوجود موجودات عالم الغيب مع إقرارهم بلسان القرآن بها. قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) سورة النحل: 14. فالمعرفة الغربية أنكرت عالم الغيب. واعترفت بعالم الشهادة. اعتماداً على التجريب والحواس كأساس للمعرفة. وبذا تحولت المعرفة لديهم إلى معرفة بشرية (محسوسة) تخضع للاستقراء والتجريب.

حيث تم استبعاد القيم الروحية. والمثل الدينية. والشيم الأخلاقية. فعم الفساد وطفح الكيل. قال تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس). سورة الروم: 41. ومن المعلوم أن هذا الرأي قد عاد على صانعيه بالوبال. وعلى المجتمعات بالفساد والحل يكمن في العودة إلى أحضان الوحي الإلهي. والاعتراف به كحقيقة مستقلة عن الواقع المادي الذي يمكن ملاحظته وإحساسه.

3. العبادات منها ذات الثواب المتعدى والأجر الوافر. كدعوة الآخرين للإسلام. فهي شعبة تتعدى صاحبها في زيادة الفضل إلى احتساب أجر من انتفع بسببه. فكان الضب سبباً في إسلام من صاده. وكذا الذئب تسبب كلامه الفصيح في إسلام الراعي. وإلى هذا أشارت الأحاديث النبوية إلى فضيلة دعوة الآخرين وهدايتهم. وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله على بن أبي طالب يوم خيبر. حين توجه إلى الحصن بأن يدعو اليهود أولاً إلى الإسلام قبل مدهمتهم فقال: «... فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»⁽¹⁾.

4. إن التفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الحيوانات ومحادثتها. دليل على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الرحمة والرأفة الزائدة. حيث بُعث رحمة للعالمين. قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين). سورة الأنبياء: 107. فمن تلك الرحمة الواسعة خصّ الله هذه الحيوانات. بقسط وافر. طال منها الكلاب. والقطط. والخيل والحمير والبغال. وسائر الحيوانات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «إن لله مائة نعمة أنزل منها على الأرض نعمة واحدة. بين الإنس والجن والهوائيم والبهائم. وآخر تسعة وتسعون نعمة. يرحم الله بها عبادة يوم القيامة»⁽¹⁾. ومن حجم وسعة تلك الرحمة أن عمّت كل ذي كبد رطب.

وبهذه الرحمة تميزت أمتنا الإسلامية وفُضِّلَت على الأمم. حيث بعث الله فيهم نبي الرحمة، الذي وصفه الله وسماه بأسمائه وصفاته تعالي قال عز وجل: (... بالمؤمنين رؤوف رحيم)، سورة التوبة: 236.

أطلق الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هنا اسمين من أسمائه تعالي. والرأفة أشد من الرحمة وأبلغها. فخاصية الرأفة أنها لدفع المكارِه والشدائد. والرحمة طلب الجواب⁽²⁾. وقال تعالي في معرض وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالرحمة: (فبما رحمة من الله لنت لهم..) سورة التوبة: 128. ومن رأفة النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله للأعرابي الذي بال في المسجد: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول ولا القذرة، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن»⁽³⁾.

5. ومن شكوى الجمل لأصحابه درس مستفاد في الرفق بالحيوان. فمن الرفق به ألا تحمله من الأحمال ما لا يطيق. ولا نضره ليسرع الخطي فوق ما عليه من أحمال. ومنا من يزيد في معاملة الدواب أكثر. ويبخل عليها بتقديم الطعام. والتقتير في حقها بنقص مأكلها. ثم يطلب منها مزيداً من العطاء والأداء! فليس من الرفق أن يعامل الحيوان بمثل ذلك. وهو الذي سخره الله تعالي في خدمتنا وتخصيل منافعنا قال تعالي: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون). سورة النمل: 8. ومن هنا نخص بالذكر بعض ذوى عربات النقل (الكارو) من يسيئون معاملة الدواب في هذا الجانب الحياتي الهام. فإن كان من طباع البشر الحدة والعنف. فمن الضروري إذا ترغيبهم في اتباع خلق الرفق. فإن المتسرع لا يقطع من الأرض ما يريد من وراء العجلة. ولا يدع ظهر دابته سليماً من كثرة توالي ضرب السباط. فلا أرضاً يقطع وظهراً يبقي!! ولكن الرفق مرغوب لأنه محمودة وفضيلة. وتأتي نتائجه بأحسن ما يكون من ثمار الخير. فإياك وإياك أخي العامل من الحرص على الحياة لهذا الحد. وتمالك نفسك بضبط قوة غضبك.

ولنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في رسم

لوحات فنية جمالية في خلق الرفق. الذي من ثمرته لمن تمسك به نيل خبري الدنيا والآخرة. وخسارة من حرم منه خسارة الأبد. ومن جملة ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهن الرفق»^(١). وقال: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي الخرق. وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق. وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى»^(٢). وجاء في حديثه. «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٣). وقال: «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق»^(٤). وقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»^(٥). وإن كان الدافع من ضرب الدواب كي تسرع في المشي. فإن وصية النبي صلى الله عليه وسلم في تدبر العاقبة أولى بالنظر حيث قال: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»^(٦).

وقد نهى الشرع عن لعن الحيوان فضلاً عن الضرب. وذلك لقطع الأسباب التي بها يستفحل الضرر. ولأن هذا السلوك يترتب عليه الطرد من رحمة الله حتماً إذا ما وافقت تلك اللعنة ساعة إجابة من الله تعالى. وبذا لم تعد تلك الدابة ذات نفع. ولا مكان لها من بعد ذلك بين أخواتها. قال أنس: كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره. فقال صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون»^(٧). وما يدل على تحذير النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لكل من يلعن دابته: عن عمران ابن حصين. بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعننها. فقال صلى الله عليه وسلم: «خذوا ما عليها وأعروها فإنها ملعونة»^(٨). قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد.

ومن الرفق بالدواب الاهتمام بنظافتها. والعناية بالعلف الذي تأكله وقد عُرِفَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه. فقليل له: يا رسول الله تمسح بكم قميصك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إن جبريل عليه السلام عاتبني في الخيل فقال: «الخيول معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»^(٩). وعن بعضهم قال: دخلت على تميم الداري^(١٠). وهو أمير بيت المقدس. فوجدته ينقي لفرسه شعيراً فقلت: أيها الأمير أما كان لهذا غيرك؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نقي لفرسه شعيراً ثم جاء به حتى يعلفه كتب له بكل حبة حسنة»^(١١).

6. من كلام الأتّان، ومن شهادة الطّبية، نكتسب مدى حب هذه الحيوانات للنبي صلى الله عليه وسلم. حب غمر الإكبان وسرى في الأحشاء فحمل ظهر الأتّان المحبوب وانطلقت به مسرعة، وهي تردد «... أتدرون من على ظهري!! وسعدت الطّبية بمساس يدي الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفتين. فوجدت من حرّ ذلك حلاوة الإيمان. ورقصت شكراً حيث هزّها حب النبي صلى الله عليه وسلم. فأخذت تردد شهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ومن هنا وجب على كل مكلف من أمة النبي صلى الله عليه وسلم حبه، ولزم أن يجعل محبة نبيه صلى الله عليه وسلم فوق محبة الأهل والمال والولد. هذا واجباً من الله وفرضاً. حيث أولى نبيه صلى الله عليه وسلم واستحققه بهذه المحبة. قال تعالى: (قل إن كان آبؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين). سورة التوبة: 24.

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل إيمان المرء وثماره. عن أنس. عنه صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار»⁽¹⁾. ولحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثواب عظيم. يتمثل في دخول الحب الجنة في زمرة المؤمنين. وإن كانت مراتبهم متفاوتة فهو مع النبي صلى الله عليه وسلم. عن صفوان بن قدامة⁽²⁾. قال: هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبته فقلت: يا رسول الله. ناولني يدك أباعك فناولني يده. فقلت: يا رسول الله أني أحبك قال: المرء مع من أحب»⁽³⁾.

وقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثال في محبة النبي صلى الله عليه وسلم. ففي يوم أحد سُجلت لبعض النساء مواقف في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث قبلن مصابهن في أهليهن. بينما فرحن أشد الفرح بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن أمثلة ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرّ هو وأصحابه بامرأة من بني دينار⁽⁵⁾. وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد. فلما نَعُوا لها قالت: «فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيراً يا أم فلان. هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ فأشير إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل»⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم الاقتداء به قولاً وفعلًا، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والتأسي بأدابه في عسره ويسره. ويتجلى ذلك في كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم والشوق إلى لقائه، فكل حبيب يتوق إلى لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعرين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرجزون: غدا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه.⁽⁸⁾

اللهم شوقنا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأرزقنا محبته. وأجمعنا به
كما جمعت بين الروح والجسد..... آمين.....

الهوامش :

- (1) نهاية السؤل في خصائص الرسول. 32.
- (2) هامش الشفا 1/ 341، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- (1) السيرة الحلبية، 3/ 342.
- (2) البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم، من الإيمان. 9/ 1.
- (3) البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين... 3/ 201.
- (4) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم)، 4/ 105 - 106، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، 1/ 184.
- (2) الضب: حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشنه، وله ذنب عريض قرش أعقد، يكثر في صحاري الأقطار العربية، المعجم الوسيط، 3/ 532.
- (3) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي، الشفا، 1/ 435، كما رواه ابن عدي والحاكم في المعجزات، وأبو نعيم وابن عساكر وقال السيوطي لحديث عمر طريق آخر أخرجه أبو نعيم، ورواه الدارقني من حديث عمر بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفلاً من أصحابه إذ إعرابي من بني سليم قد صاد ضباً...
- (4) مكان يجتمع فيه أناس كثيرون.
- (5) لبيك إجابة لك بعد إجابة، وسعديك مساعدة وطاعة لك بعد طاعة.
- (1) حيوان من الفصيلة، الكلبية ورتبة اللواحم ويسمي: كلب البر، (ج) ذئب وذؤبان، المعجم الوسيط، 1/ 308.
- (2) رواها أحمد، والبزار، والبيهقي وصححها، وهي في طبقات ابن سعد، 1/ 114.
- (3) قعد علي عقبه، ناصباً يديه.
- (4) الحرة: ثنية مرتفعة ذات حجار سود كأنها سودت من الحجر، والحرثان بالمدينة.
- (5) أهبان بن أوس الأسلمي، يعرف بمكلم الذئب، يكنى أبا عقبة، سكن الكوفة، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1/ 190 بالرقم، 280.
- (6) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، 2/ 577، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي.
- (1) الطيبي: هو جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والجوفات القرون، أشهرها الطيبي، العربي، ويقال له: «الغزال الأعفر»، (ج)، طباء، المعجم الوسيط، 2/ 575.

(2) في حديث رواه الطبراني، والبيهقي، وصححه ابن حجر. أنظر هامش الشفا 1/ 441. تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو نعيم. عن أم سلمة وقال الحافظ السيوطي في إسناده أغلب ابن تميم ضعيف لكن للحديث طرق كثيرة تشهد بأن للقصة أصلاً، وروى حديثها البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق بقوى بعضها بعضاً. فعلم أن لها أصلاً فيكون حسناً لغيره. وقال العلامة السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا إذ ذاك. وقال الحافظ ابن حجر والذي أقوله: أنها كلها مشتهرة بين الناس. وفي السيرة الحلبية، 3/ 303.

(3) الخِشْف: ولد الظبية أول ما يولد، يطلق على الذكر والأنثى. (ج). خشوف، المعجم الوسيط، 1/ 236.

(1) الأنان: الحِمارة (ج) أنن. المعجم الوسيط، 4/ 1.

(2) علي بن برهان الدين الحلبي، 1/ 146، باب في رضاعته صلى الله عليه وسلم.

(3) أعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير.

(1) مسلم بشرح النووي، 4/ 1871، ح: 2404، 2405.

(1) رواه الشيخان في صحيحيهما.

(2) أنظر نهاية السؤل، ص 85.

(3) البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، 1/ 61.

(1) أخرجه أحمد بسند جيد، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير بإسناد ضعيف.

(3) أخرجه مسلم من حديث عائشة.

(4) أخرجه أحمد من حديث عائشة.

(5) أخرجه مسلم من حديث جرير.

(6) رواه الترمذي وحسنه.

(7) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد.

(1) رواه مسلم.

(2) السيرة الحلبية، 3/ 431، أخرجه الثلاثة.

(3) تميم بن أوس بن خارجة بن مسعود بن غزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار. يكنى أياً رقة، كان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، فكان نصرانياً فأسلم سنة تسع من الهجرة، وكان كثير التهجد، قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن، فيركع ويسجد ويبكي وهي: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ...). الآية..... عز الدين بن الأثير. أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1/ 295، رقم:

(4) السيرة الحلبية، 3/ 431.

(1) رواه الشيخان، صحيح البخاري، 1/ 15، ومسلم: 66.

(2) صفوان بن قدامة التميمي من بني أميرئ القيس، روى عنه عبد الرحمن بن صفوان بن قدامة، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فبايعه على الإسلام... الحديث، أسد الغابة، 2/ 425، بالرقم: 2518.

(3) سنن الترمذي، 4/ 595، وصحيح البخاري، 8/ 48 - 49.

(5) صرح الواقدي باسمها وهي السميراء بنت قيس، المغازي 1/ 292.

(6) جلال: شيء هين لا أبالي به ولا أحزن عليه.

(7) الشفاء، 2/ 573.

(8) الشفاء، 2/ 573.

¹ * نسبة المدينة الأولى إلى الثانية = (ابوعيانة: 1997: 181)

عدد سكان المدينة الثانية

المصادر والمراجع :

1. صحيح البخاري، المكتبة الثقافية بيروت.
2. صحيح مسلم، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
3. إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتب العربي، بيروت.
5. دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م.
6. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مكتبة الكليات، الأزهرية، القاهرة.
7. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، 1365هـ - 1946م.
8. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، دار الفكر، 1414هـ - 1993م.
9. نهاية السؤل في خصائص الرسول، الإمام مجد الدين أبي الخطاب بن دحية، من مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية، (دولة قطر)، ط1، 1416هـ - 1995م.
10. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استانبول.
11. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.